Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

الحقول الدلالية في شعر الأمير عبد القادر قصيدة يا عاذرا لأمرئ أنموذجا

Sematic fields in the poetry of prince abdulkader a poem oh excuse me as a model

لعمى عبد الرحيم LAMA Abderrahim
جامعة المدية. Medea University
abderrahimlama@univ-medea.dz

تاريخ الاستلام: 2021-10-14 تاريخ القبول : 2021-10-20

الملخص:

الحديث عن شخصية وطنية وإنسانية كالأمير عبد القادر ذو شجون، ففي شخص الأمير صفات فذة وجوانب متعددة فهو المجاهد بالسيف والمتبحر في العلم والأدب وفي الشعر، نظم القصائد بأغراض متعددة كالفخر والحماس وصولا للغزل والوصف والمديح، وتهدف الورقة البحثية أن تميط اللثام عن الحقول الدلالية لقصيدة يا عاذرا لأمرئ بدءا بدلالة العنوان وخلفيات السؤال الفكرية مرورا بالموقف الذي اتخذه الشاعر وهي رسالة تتعدى الحقول الدلالية والمقارنة الى تراكمات حضارية أعمق.

الكلمات المفتاحية: الأمير، الوصف، البداوة، الحضر الحقول الدلالية.

Abstract:

Undoubtedly, Emir Abd-el-Kader was an absolute with unique and umparalled qualities a great religions and educated man who played a vital role as fighter and a poet as well.the aim of this research is to shed light not only on personality of prince as as spiritual master but also on the sematic fields of poems.

Keywords: prince abdulkader poem the poetry sematic fields

مقدمة:

بين مقاومة الغزاة والتففه في بحور العلم ينظم القصائد بمختلف الأغراض الشعرية ويتتبع تراث الشعر وفحوله ،ومن منطلق الشعر أردت أن أميط اللثام عن جزء من نظم الشاعر مختارا قصيدة من غرض الوصف قصيدة البداوة والحضارة منطلقا من إشكالية مؤداها ماهي الحقول الدلالية للقصيدة وماهي الخلفيات الفكرية للمقارنة أكانت مقارنة بين عيش البوادي والحضر أم أن الامر أعمق يعود بأثر حضاري واجتماعي؟،ولأجل تلكم التساؤلات عمدت الى خطة سلسلة تمحورت على عدة محاور خصصت المحور الأول للتعريف بالأمير بصفة مجملة أهمها نسب الأمير ونشأته ذاكرا بعض من صفاته التي تساعد على فهم المعنى العام للمقال مرورا بمبايعته للإمارة وهي حجر الزاوية في حياة الأمير والجزائريين، ثم خصصت المحور الثاني للتعريف بأغراض شعر الامير مع تقديم نماذج عن كل غرض فيما كان المحور الثالث والأخير لعينة الدراسة والمقصود بها قصيدة يا اعذرا لامرئ..... وعن حقولها الدلالية مذيلا البحث بخاتمة .

فأي خطة تحتاج الى الاعتماد على مجموعة من المناهج ورأيت ان الموضوع توافقه جملة من المناهج كالتاريخي والوصفي والاستدلالي. وقبل الغوص في تحليل القصيدة أود الإشارة الى أن شعر الأمير غلب عليه الفخر والحماسة كما تنوعت أغراض أخرى لان المرحلة فرضت على الأمير ذلك وسيتم توضيح ذلك بعنصر بالتحليل

المحور الأول: التعريف بالأمير:

أولا- نسبه ونشأته:

هو ناصر الدين الحسيني المنتسب للإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما ،ولد عبد القادر شهر ماي من عام 1807 بقرية القيطنة غرب معسكر.[1]

ويرى كثير من المؤرخين ان أصل الأمير وأسرته يعود للأدارسة ويعتبر عبد القوي الأول أول أجداد الأمير الذين نزحوا عن المغرب واستقروا بقلعة بني حماد وذلك بعد اضطراب الأحوال بمراكش.[2]

اشتهرت سلالة الأمير وعائلته بالعلم والتقوى والجهاد، فكانوا موضع تقدير مما جعل القبائل النازلة بالغرب الجزائري المتاخمة للمغرب تشد الرحال لتلقي العلوم فجده محمد كان من العارفين بالله وممثل الطريقة القادرية.

نشأ الامير عبد القادر في أحضان تعاليم الدين والتقوى بين يدي والده بمسقط راسه، لكن لم يدم بهم الحال اذ نقلت

العائلة الى وهران عام 1821 بسبب الاقامة الجبرية وفي وهران استزاد الأمير من علم علماء وهران وأضاف معارف جمة الى ثقافته كما يقول الدكتور يحي بوعزيز في كتابه عن الأمير.في 1825 أفرجت الحكومة العثمانية عن والده وأذنت له بأداء فريضة الحج عام 1826 فاصطحبه والده من بين اخوانه لنباهته الى جانب فطنته وشجاعته.[3]

لقد اتاحت فريضة الحج للأمير زيارة عدة بلدان كتونس ومصر والحجاز وعند عودتهما عرجا على بلاد الشام، أقاما بدمشق تمكن فيها الأمير حضور حلق العلم والذكر على يد علماء الجامع الاموي ومنها توجها الى بغداد ثم لتأدية الحج ثانية فالعودة للوطن مرورا بطرابلس ليصلا قريتهما عام 1828.[4]

لقد اتاحت الرحلة المباركة للأمير فرصة الاطلاع أيضا على أنظمة الحكم في البلدان العربية في ميادين الإدارة والسياسة والاجتماع وغيرها.

ثانيا- مبايعته:

باحتلال فرنسا للجزائر عام 1830 اضطربت أحوال البلاد وعمت الفوضى وكثر الشقاق جراء انشقاق الامة في إيجاد شخصية تضبط مصير الامة وجر هذا استقلال كل زعيم بناحيته وانفصاله عن جيرانه ففكر وتشاور وجهاء الايالة الوهرانية وعلماؤها حول شخصية يسندون اليها أمور البلاد ولم يكن من تتوفر فيه شروط الامامة الا والد الأمير وان تقبل المسؤولية عن مضض ما ان تنحى لولده عبد القادر خاصة لما رأى الناس شجاعته في واقعتي النطاح الأولى والثانية ووافقوا على مبايعته يوم 28نوفمبر 1832.[5]

ثالثا- صفات الأمير:

تسمت شخصية الأمير بثقافة واسعة في مختلف العلوم وفروع الادب والفلسفة والتبحر في دراسة الفقه الفلك والتاريخ واللغة والبلاغة والاصول وعلم الكلام والفلسفة كرسائل اخوان الصفا وكتب فيتاغورس وارسطو والتعمق في دراسة الجغرافيا أيضا، ولم يصرفه الامر الجلل الجهاد من تدريس صحيحي البخاري ومسلم وكتاب ا لشفا للقاضي عياض في الحديث والالفية في النحو بمنزله وبدمشق بالمسجد الاموي والحسني.[6]

ألف الأمير رسائل تعتبر أجوبة متنوعة لمسائل إشكالية كتبها عند انتخابه عضوا بالأكاديمية الفرنسية تضمنت مسائل جمة في مختلف العلوم ولعل اهم رسالة تلك التي كتبها بقصر أمبواز ردا على الطاعنين في مبادئ الإسلام والموسومة بذكرى الغافل وتنبيه العاقل وكتاب المقراض الحاد لقطع لسان الطاعن في دين الإسلام من اهل الباطل والالحاد فيه شرح لمبادئ الاسلام الحقة واصوله الحكيمة.

وقد أجمل أمير البيان الاديب والمفكر اللبناني شكيب أرسلان في وصف الأمير عبد القادر بقوله:" كان المرحوم عبد القادر متضلعا في العلم والادب ،سامي الفكرة ،راسخ القدم في التصوف لا يكتفي به نظرا حتى يمارسه عملا ولا يحن اليه شوقا حتى يعرفه ذوقا وله في التصوف كتاب سماه المواقف ،وهو فيهذا المشرب من الافراد الافذاذ، وربما لا يوجد له نظير من المتأخرين له كتاب سماه ذكر الغافل وتنبيه العاقل في الحكمة والشريعة وقد ذكر مؤرخو الافرنجة ان ملكته العلمية والدينية كانتا من اكبر اعوانه على تأسيس الحكومة التي أسسها وانه كان ينال باللسان ما قد يعجز عنه بالسنان"[7]

رابعا- الأمير الشاعر:

يرى المؤرخ بوعزيز يحي أن استيلاء الاستعمار على مكتبة الأمير الكبرى في عاصمته الثانية الزمالة أضاع كثير من شعر الأمير قبل توليه الامارة ذلك الذي كتب في زمن الصبا والشباب وهي ملاحظة لابد من ذكرها، وماهو موجود بين يدي الباحثين من شعر الأمير ديوان جمعه ولده الأمير محمد والموسوم ب **نزهة الخاطر في قريض الأمير عبد القادر.**

ارتبط شعر الأمير بمواقفه الحياتية بالحرب والسلم ومس جزءا من شخصيته، وان لم يكن بتلك القوة اللفظية والجزالة البلاغية، لكنه مس جزءا من شخصيته واتصل اتصالا وثيقا بمواقفه العظيمة وانسانيته الكريمة، فجاء بسيط التخطيط صادق الدلالة رائع المفاجئة مرتكزا على نقطتين أساسيتين ثقافته الإسلامية وعشقه للفروسية وهي أسباب جعلت من شعر الأمير مذاقا واحدا جامعا بين ا لمدح

خامسا- وفاته:

مرض الامير عبد القادر مرض الموت بسبب داء أصاب كليتيه ومثانته، كان ذلك في أواخر جمادى الثانية عام 1400ه الموافق ل 24ماي من عام1883م، وكان في أخر أيامه يشتغل بالذكر لا يترك الصلاة في وقتها لكنه عجز عن الوضوء في أخر مرضه فصار يتيمم، وكان في مرضه قليل الكلام لم يظهر ضجرا ولا تأوها.

توفي رحمه الله بقصره بقرية دمر غرب دمشق عن عمر يناهز 76عاما، وقد صلي عليه صلاة الجنازة بالجامع الاموي

بدمشق ودفن بجوار الشيخ محي الدين بن عربي بعد موافقة وترخيص من الباب العالي.[8]

المحور الثاني: أغراض شعر الأمير:

ما تعرضت له بلاد الجزائر من غزو استعماري واختياره الجهاد عن طواعية ضد الغزو الفرنسي جعلت كثيرا من أنصاره يغفلون ان رب كلمة وانست الكثير من معرفة جوانب متعددة من شخصية الأمير فهو البدوي بطبعه والعاشق للطبيعة والذي اتخذ من الشعر أداة للتعبير عن أحاسيسه وهو أيضا وصاحب قريحة شعرية جادت بمواضيع مختلفة الأغراض كالفخر والحماسة لما اقتضته الفترة التاريخية.

أولا-الفخر:

تلازم الفخر مع أحداث الأمير الجهادية فكان شعره بالفخر صادقا صحيحا والدارس لغرض الفخر عند الأمير يلاحظ أنه يتميز بنقطتين فخر طبيعي ومكتسب وسياتي شرحهما بالتفصيل، ونعني بالفخر الطبيعي ما فطر عليه الأمير من اتصاله بنسب الرسول صلى الله عليه وسلم اذ يقول ناظما في هذا الصدد:

أبونا رسول الله خير الورى طرا

فمن في الورى يبغي يطاولنا قدرا.[9]

لقد جعل الأمير من هذا النسب الشريف والإرث النفيس صون أمان من تسول له نفسه التطاول على شخصه لذلك يستطرد قائلا:

ورثنا سؤددا للعرب يبقى

وما تبقى السماء ولا الجبال

فبالجد القديم علت قريش

ومنا فوق ذا طابت فعال

وكان لنا دوام الدهر ذكر

بذا نطق الكتاب ولا يزال[10]

ثم فخر مكتسب يفتخر الشاعر بأفعاله الجليلة ومواقفه البطولية في الحرب والسلم وتلك صفات جاءت نتيجة التنشئة الاجتماعية التي أحذها في بيت علم وورع وتقوى، يقول مفتخرا:

لنا في كل مكرمة مجال

ومن فوق السماك لنا رجال

ركبنا للمكارم كل هول

وخضنا أبحرا ولها زجال [11]

ثانيا-الغزل:

قبل الحديث عن شعر الغزل عند الأمير، حري التذكير بالدوافع الداعية ليغوص الامير في هذا الغرض ولعل اهم تلك الدوافع علاقة الشاعر بأمه ا لتي لازمته حله وترحاله وما تمتعت به من شخصية طاغية فرضت احترامها على كل من قابلها ولما توفيت حزن لفقدها وأما الدافع الثاني فهو حبه لكل ما هو جميل وان بدت حياة البادية أكثر خشونة.[12]

اذ يقول الأمير عن سلطان الجمال معتزا به لما يضفي من نكهة وهيبة ووقارا على الفارس الكريم:

سلطان الجمال له اعتزاز

على ذي الخيل والرجل الجواد

وللتذكير فان الدراسات الأدبية تؤكد ان غزل الأمير ارتبط بالتراث الإسلامي وبتربيته الإسلامية، فهو لا يرى فيه منقصة مادام بعيدا عن الفحش والاباحة وينحو به منحى عذري روحي ويجمعه مع الفخر حين يصف مقارعة الجيوش فلا يستكين أمام جحافل المقاتلين لكن شجاعته تخونه أمام أم بنينه اذ يقول ملخصا ذلك

ومن عجب تهاب الاسد بطشي

ويمنعني غزل عن مرادي [13]

بل الأكثر ان الأمير يرى ان كمال الفارس في الخضوع للجمال ليس عيبا فالنفوس النقية تعرف للجمال وللحسن منزلته وهو يتغنى بأم أولاده قائلا

جفاني من ام البنين خيال

فقلبي جريح والدموع سجال

أحب الليالي كي افوز بطيفها

وأرجو المنى بل قد أقول أنال[14]

ثالثا- المدح:

ظهر المدح عند الأمير مشكلا في ثلاثة محاور أساسية المدح السياسي والمدح الأدبي والمدح الصوفي الذي أولى له الشاعر المقام الاوفر، وحري بنا أن نقول إن المدح عند الأمير تميز بالصدق الفني وهو ما أملاه عليه مذهبه الاخلاقي قولا كشاعر وفعلا كانسان تشبع بأحكام الشريعة وآدابها وتقاليد التنشئة خاصة تقاليد الفروسية ونوازع النفس البشرية الشريفة واعراف المجتمع ودواعي الصدق.

نظرا لان الأمير نشا نشأة دينية محافظة غرست في نفسه حب العبادة والتقوى والزهد في الدنيا، فلا غروان نجده ينحو منحى صوفيا خلال حياته يعظم اقطاب الصوفية من مشايخه واساتذته، ولقد تعرض الأمير في مدحه لشيوخه لشيخين فقط

وهما محمد الشاذلي القسنطيني والشيخ محمد الفاسي وجاء مدحهما من الجانب المعنوي الديني الخلقي ولم يتعرض الى النواحي الشكلية المادية.[15]

ويمكن ان نذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض الأبيات الشعرية التي نظمها في شيخه محمد الشاذلي لما استقبله في قصر أمبواز لما اختاره الفرنسيون مؤنسا له

أهلا وسهلا بالحبيب القادم

هذا النهار لدي خير مواسم

جاء السرور مصاحبا لقدومه

وانزاح ما قد كان قبل ملازمي

أفديك بالنفس النفيسة زائرا

من غير ما من ولست بنادم[16]

ويقول أيضا:

أسمى قطب العارفين لك العلا

متبوئا منه أجل معالم

أنت الذي في الفضل أصبح مفردا

لعلاه ما من مدع ومزاحم[17]

هذه بعض من النماذج في تعداد الفضائل التي افردها الأمير لشيوخه واساتذته من كرم وحلم وزهد وصبر وقد ضرب بهم المثل في بلوغ قمة المجد والعطاء.

رابعا-الوصف:

المطلع لغرض الوصف في شعر الأمير يجده على نمطين وصف للبادية ومثل المرحلة الأولى من حياة الشاعر بالجزائر وأهم انموذج **قصيدة البادية والحضر** التي سنقف على تحليل حقولها الدلالية لاحقا، والنمط الحضري الذي جاء نتيجة استقراره بالمنفى وبعد إطلاق سراحه وعيشه بالحواضر كفرنسا ودمشق وتركيا وغيرهما لقد امتاز الوصف الحضري بميزتين حسي تقريري ووصف تشخيصي وجداني.

ففي الوصف الحسي يصف الشاعر الأمور المادية وينقلها نقلا واقعيا دون إضفاء اية مشاعر على الموصوف وتمثل **قصيدة دمر أنموذجا** اذ يقول:

عج بي فديتك **في أباطح دمر**

ذات الرياض الزهرات العطر

ذات المياه الجاريات على الصفا

كأنها من ماء نهر الكوثر

ذات الجداول كالأرقم جريها

سبحانه من خالق مصور

ذات النسيم الطيب العطر الذي

يغنيك عن زبد ومسك اذ فر

والطير في أدواجها مترنم

برخيم صوت فاق نغمة مزهر[18]

اما في الوصف التشخيصي يجسد الشاعر صورا للمظاهر المادية باعثا فيها الحركة مشاركا تلك الظواهر المادية حالته النفسية وكأنها تدب بها الحياة وهاهو يصف ناعورة جعلها كائنا حيا يناجيه ويبث اليه شكواه

وناعورة ناشدتها عن حنينها

حنين الحوار والدموع تسيل

فقالت و أبت عذرها بمقالها

وللصدق آيات عليه ودليل

الست تراني ألقم الندى لحظة

يدور بدار الحب وهو ذليل[19]

-المحور الثالث تحليل قصيدة يا عاذرا لأمرئ من غرض الوصف البدوي:

مثل الوصف البدوي كما ذكرنا سابقا حياة الأمير بالجزائر ولكن اهم قصيدة في هذا الجانب قصيدة **ما في البداوة عيب** غبر ان الملفت أن الشاعر كتبها وهو بدولة فرنسا وهو ما يجعل الوصف يخرج من الغرض الى تراكمات معرفية وتاريخية واجتماعية وراء نظم القصيدة التالية

ياعاذرا لإمرئ قد هام في الحضر

وعاذلا لمحب البدو والقفر

لا تذممن بيوتا خف محملها

وتمدحن بيوت الطين والحجر

لو كنت تدري ما في البدو تعذرني

لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر

أو كنت أصبحت في الصحراء مرتقبا

بساط رمل به الحصباء كالدرر

أو جلت في روضة قد راق منظرها

بكل لون جميل شيق عطر

تستنشقن نسيما طاب منتشقا

يزيد في الروح لم يمر على قذر

أوكنت في صبح ليل هاج هاتنه

علوت في مرقب أوجلت بالنظر

رأيت في كل وجه من بسائطها

سربا من الوحش يرعى اطيب الثمر

فيا لها من وقفة لم تبق على حزن
في قلب مضنى ولا كدا لذي ضجر
نباكر الصيد أحيانا فنبغته
فالصيد منا مدى الأوقات في ذعر
فكم ظلمنا ظليما في نعامته
وان يكن طائرا في الجو كالصقر
يوم الرحيل إذا شدت هوادجنا
شقائق عمها مزن من المطر
فيها العذاري وفيها قد جعلن كوى
مرقعات بأحداق من الحور
تمشي الحداة لها من خلفها زجل
أشهى من الناي والسنطيروالوتر
ونحن فوق جياد الخيل نركضها
شليلها زينة الاكفال والخصر
نطارد الوحش والغزلان نلحقها
على البعاد وما تنجو من الضمر
نروح للحيليلا بعدما نزلوا
منازلا ما بها لطخ من الوضر
ترابها المسك بل أنقى وجاد بها
صوب الغمائم بالأصال والبكر
نلقى الخيام وقد صفت بها فغدت
مثل السماء زهت بالأنجم الزهر
قال الألى قد مضوا قولا يصدقه
نقل وعقل وما للحق من غير
الحسن يظهرفي بيتين رونقه
بيت من الشعروبيت من الشعر
أنعامنا ان أتت عند العشي تخل
اصواتها كدوي الرعد بالسحر
سفائن البربل انجى لراكبها
سفائن البحركم فيها من خطر
لنا المهارى وما للريم سرعتها
بها وبالخيل نلنا كل مفتخر
فخيلنا دائما للحرب مسرجة
من استغاث بنا بشره بالظفر
نحن الملوك لا تعدل بنا أحدا
و أي عيش لمن بات في خفر
لا نحمل الضيم ممن جارنتركه
و ارضه وجميع العزفي السفر
وان أساء علينا الجارعشرته
نبين عنه بلا ضرولا ضرر
نبيت نارالقرى تبدو لطارقنا
فيها المداواة من جوع ومن خصر
شرابها من حليب ما يخالطه
ماء وليس حليب النوق كالبقر
أموال أعدائنا كل آونة
نقضي بقسمتها بالعدل والقدر
ما في البداوة من عيب تذم به
إلا المروءة والإحسان بالبدر
وصحة الجسم فيها غيرخافية
و العيب والداء مقصور على الحضر
من لم يمت عندنا بالطعن عاش مدى
فنحن أطول خلق الله في العمر[20]

وسنتطرق بالتحليل للحقول الدلالية، ونعني بالحقل الدلالي مجموعة الكلمات التي ترتبط دلاليا وتوضع عادة تحت لفظ عام وبهذا الحقل الدلالي مجموعة من المفرد ات في اللغة ترتبط دلاليا وتشترك في التعبير عن المعنى العام الذي يخص حقلا معينا، وتقول نظرية الحقول الدلالية أنه لا يفهم معنى الكلمة الا بالكلمات التي تتصل بها دلاليا، ويهدف تحليل الحقول الدلالية جمع الكلمات التي تخص حقلا معينا والكشف عن الصلات الواحد منها بالأخر وصلاتها بالمصطلح العام.[21]

ويتفق أصحاب هذا الرأي على مجموعة من المبادئ أهمه أنه لا يغفل السياق الذي تردد فيه الكلمة واستحالة دراسة المفردة مستقلة عن تركيبها الى حقل دلالي معين مع الحرص على أخذ السياق ضمن اهتمامات دراسة الكلمة وسيكون تحليل قصيدة ما في البداوة عيب تذم به وفق الترتيب الاتي:

أولا- دلالة العنوان:

وهو أسير بقصر أمبواز كان الأمير موضع تكريم من قبل علماء فرنسا ومفكريها وفنانيها يراسلهم ويراسلونه فبعث بعض الامراء يسألونه فيما اختلفوا فيه وكان مؤدى السؤال ايهما أفضل عيش البوادي أو عيش الحواضر فرد بقصيدة ينتقم فيها لنفسه وللبداوة بكياسة بليغة منتصرا لخصاله وما أملته عليه قيمه الخلقية والأخلاقية.[22]

فالإطار العام للنص يأخذ موقفا تتقابل فيه حضارتان شرقية حافلة بالمروءة والشجاعة والعدل وحضارة غربية عامرة بالكبرياء والهيمنة والقهر بالنظر للإطار العام للقصيدة ويصب العنوان في كينونة الأمير وهي ارتباطه بالأرض وفيها سبل للتقرب من الله بالعيش البسيط، ثم ان فضاء البادية خرج من مكون جغرافي الى مكون اجتماعي طبقي، فأغلبية الجزائريين من البوادي وان سكان الحواضر من الجزائريين آنذاك من أصحاب النفوذ تخلفوا عن كثير من الثورات الشعبية وبالأخص التخلف في مبايعة الأمير.[23]

القصيدة تصور فكرة أصيلة نابعة من خصوصيات الانسان الجزائري وفيها رد قوي على ادعاءات المستعمر والتي مفادها أن الجزائري يتصف بالغلظة والكراهية للأخر والحقد والتطاحن، فيها تجميل للفضاء البدوي وإعطاء صورة بشعة للفضاء المديني إشارة للمستعمر وهو رد على كل الافتراءات فالمسالة أكبر انما تمتد الى موقف الصراع الحضاري في خطاب عميق وبالتالي ا لشاعر في مقدمة القصيدة ينسج سياقا لا يمكن للمتلقي إلا التموقع داخل موقف ومن الوهلة الأولى لا يخفي الأمير موقفه فهو يقف بمفرده ومن الجهة المقابلة يقف الاخرون.[24]

ثانيا-الحقول الدلاليةللقصيدة :

تنوعت الحقول الدلالية بالقصيدة ويمكن اجمالها فيما يلي:

1- حقل العتاب واللوم:

يستهل الشاعر رائيته بتوجيه لوم وعتاب لأولئك الذين ينتصرون لأهل الحواضر ويلومون سكان البوادي لبساطة عيشهم فلامناص أن هذا الحكم مرده جهل بحياة البادية وفضائها ومزاياها ومن تلك المفردات التي استعملها النابضة بالصدق وحرارة الشعور **(يا عاذرا، وعاذلا، تدري، جهلت، ضرر).**

ماذا بقي من عيب تذم به البادية وأهلها مروءة عالية واخلاق سامية وشجاعة عنترية وكرم حاتمي وصحة الاجسام وصفاء عقول وعافية دائمة وحرية وكبرياء شامخين.

2- حقل الطبيعة:

وهو يصف البادية يجيلنا الشاعر الى لوحات فنية طبيعية من ابداع الخالق العظيم من وصف للصحراء الى الحدائق الغناء المتسمة بالهواء المنعش الساري للنفوس الباعث للجد والنشاط ومن تلك المفردات التي خدمت المعنى العام (**روضة الصحراء بسائط المطر السماء الرعد الانجم الشجر**)،فالشاعر لما يذكر هذه المظاهر الطبيعية فانه يعطي انطباعا للمتلقي خاصة ساكنة الحواضر او أولئك الذين يناصرون فكرة العيش بالمدن ان هذا التنوع لا يمكن أن يكون بالمدينة وان هذا التنوع هوما يضفي جمالية البادية وما يعطي لسكانها صحة بالجسم وصفاء في القلب ورومانسية في المشاعر .

3- حقل الحيوانات:

وقد أدرج فيه الشاعر مجموعة من المفردات عن الحيوانات التي تعج بها البوادي في المناطق التي تقع بشمال الجزائر وبجنوبها مذكرا بخصائص هذه الحيوانات فعلى سبيل المثال يقارن الشاعر بين حليب النوق والبقر ويبين ان حليب النوق الأفضل للأجسام لما فيه من منافع ولعمري ان الشاعر استلهم ذلك من تجاربه الحياتية، ثم ان الشاعر يستطرد في ذكر العلاقة الحميمية بين الانسان والحصان لان مشبع بفكرة ان الخيل معقود بنواصيها الخير **(كالصقر والخيل والنعامة والعاديات والانعام والمهارى والريم والبقر).**

4- حقل الصفات الحميدة:

القصيدة نابعة أصلا من خصوصيات الانسان الجزائري وفيها رد لمن يصف الجزائريين باللاتحضر والشاعر يرسل رسائل مشفرة بأنه يفتخر كونه بدوي الأصل والتنشئة ويقدم وصفا حقيقيا دون مبالغة عن شخصية الجزائري والشاعر يقدم أمثلة جمة بالقصيدة عن صفات أهل البوادي في حلهم و ترحالهم في حالة السلم والحرب ،فيذكر الشاعر أنهم يعاملون الجار بالحسنى وأنهم لا يردون الإساءة بالإساءة فشيمهم لا ترضى بذلك فهم أقدر على ردها ولكنهم يعاملون الإساءة بالحسنى بيد أنهم من طلب يد المساعدة منهم وقت الضيم فنهم أسود الوغى لانهم شربوا من لبن الصمود والوقوف لنصرة المظلوم (**المروءة، الاحسان، الفخر، الاصالة)**

- خاتمة:

تمكن الأمير الشاعر من أن يقدم نموذجا من المقارنة بين عيش البوادي وعيش الحواضر ،مبديا رأيه في السجال الفكري الذي استشير فيه لكن بفطنة الأمير وحنكة المجرب و ما أملته عليه التجارب الشخصية يوضح الأمير ما وراء المقارنة البسيطة التي تضفيها الصورة الجمالية للبادية صورة اكثر دلالة وعمقا تمثلت في قضية التحضر وخاصة ان القصيدة

كتبت في مرحلة مأساوية من تاريخ الجزائر اذ كان ينظر الى الجزائريين من قبل المستعمر أنهم همجيون غير متحضرين متعجرفون فكانت القصيدة من بدايتها الى نهايتها مثالا يحتذى لإقامة الحجة أن البادية مكان للرفعة والسؤدد والجمال ومرتع الشجعان والكرماء الذين كانوا يوما صناديد في ساحات الوغى ،وقد استعمل الشاعر كل تجربته الشعرية باستعمال كلمات بسيطة لكنها صادقة وعميقة لتزيد الدال مدلولا إضافيا جميلا وجليلا.

ينتصر الأمير عبد القادر للبادية بحكم انه ابنها وانه قضى ريعان شبابه بين أحضانها، ينتصر لأنها أرض اهله وعائلته فلا يمكن على أي حال من الأحوال أن يخون مرتع شبابه وموطن الآباء والاجداد، والشاعر كأنه يرسل ايحاءات للأخر انه مهما تغيرت بي الاقامات والأماكن فلن أحيد قيدا نملة عن ارضي والبادية بالنسبة اليه أيضا أولئك الدين ناصروه وعزروه ضد الاحتلال الفرنسي ووقفوا معه وقفه رجل واحد يخوضون المعارك تلو المعارك نصرة للدين وحبا في الوطن فلا مناص أن ينتصر الشاعر للبادية.

لقد أملت القيم الخلقية للأمير في إطار العام للقصيدة أن يوضح موقفه من السؤال ليظهر مسالة الحضارة العربية الإسلامية تلك الحضارة التي جعلت من العربي الذي يعرف بالغلظة والفضاضة تجاوزا ولو في نظر الغرب شخصية عامرة بالمروءة والشهامة والعدل بفضل تعاليم الإسلام السمحة، وانه من خلال المقارنة بين البادية والحضر يمكن للمتلقي أن يتموقع أو ينسج سياقا لغويا او فكريا أو حضاري من المنطلق العام للقصيدة.

لابد أن نذكر في الأخير أن الشاعر اعتمد على صور البيان والبديع مما زاد ثرا النص الشعري من خلال استعمال الكنايات والاستعارات والوان البديع كالطباق ويمكن ادمال ذلك في النقاط التالية:

- توظيف الأفعال الماضية بشكل ملفت للانتباه مع الجمع بين الماضية والمضارعة حسب سياق القصيدة.
- استعمال لجملة من العناصر اللغوية كالحروف والجمل والجمع بين تنكير الكلمات وتعريفها.
- استعمال المحسن اللفظي كالطباق مثل تذم وتمدح باستعمال نون التوكيد الثقيلة والجناس عاذلا وعاذرا والوان البيان مثلا قوله يزيد في الروح في اشارةالى نقاء الهواء بالبادية وهي امثلة تعج بها القصيدة أردنا ان نشير لبعض منها ليس الا.

قائمة المصادروالمراجع:

1 - حدان سهام، العباسي كريمة، مقاربة اسلوبية في قصيدة يا عاذرا لأمرئ للشاعر الأمير عبد القادر، مذكرة تخرج لشهادة الليسانس، قسم اللغة والادب جامعة البويرة، 2016-2017

2 - يحي بوعزيز، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1983

3 - محمد بشير بوحيرة، ثراء المرجع وتعدد الدلالة في قصيدة ما في البداوة عيب مقاربة حول الدفق الاستراتيجي في شعرية الأمير مجلة الكلم، مختبر اللهجات ومعالجة الكلام جامعة وهران 1، ا لعدد3، جوان 2017. ص5.

4 - ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري شرح وتحقيق، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر دون تاريخ نشر.

5 - عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر و أدبه مؤسسة البابطين للإبداع ،2000.

الهوامش:

[1] يحي بوعزيز الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري الدار العربية للكتاب، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1983، ص41.

[2] عبد الرزاق بن السبع، الأمير عبد القادر وادبه، مؤسسة البابطين للإبداع ،2000، ص11.

[3] المرجع نفسه، ص13.

[4] يحي بو عزيز، المرجع السابق، ص42.

[5] المرجع نفسه 43.

[6] نفسه ص 47

[7] نفسه، ص132.

[8] عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص 146.

[9] نفسه، ص150

[10] عبد الرزاق بن السبع المرجع السابق، ص71.

[11] نفسه، ص74.

[12] نفسه، ص95.

[13] نفسه، ص73.

[14] نفسه، ص109.

[15] عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص 118.

[16] نفسه، ص119.

[17] نفسه، ص124.

[18] نفسه، ص 126

[19] نفسه، ص 126

[20] حدان سهام، العباسي كريمة، مقاربة اسلوبية في قصيدة يا عاذرا لأمرئ للشاعر الأمير عبد القادر، مذكرة تخرج لشهادة الليسانس، قسم اللغة والادب جامعة البويرة،2016 -2017، ص39.

[21] ممدوح حقي، ديوان الأمير عبد القادر الجزائري شرح وتحقيق دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، ص22الى28.

[22] عبد الرزاق بن السبع، المرجع السابق، ص 305.

العدد3، مختبر اللهجات ومعالجة الكلام جامعة وهران 1، جوان 2017، ص5.

[24] حدان سهام، العباسي كريمة، المرجع السابق، ص41.

[23] محمد بشير بوحيرة، ثراء المرجع وتعدد الدلالة في قصيدة ما في البداوة عيب مقاربة حول الدفق الاستراتيجي في شعرية الأمير مجلة الكلم،